كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المدد الخامس	جمادى الأولى ١٣٦٨ ابريل سنة ١٩٤٩	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

فضــائل القرآن

القرآن والايمان

يقول الله تعالى فى افتتاح سورة البقرة « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .

بهذه الآيات ابتدأ الله سورة البقرة ، فذكر أن أول صفات المتقين الايمان بالأمور المغيبة ، كالوحى والملائكة ، وسؤال القبر وعذابه ، والبعث والحشر ، والصراط والميزان ، والجنة والنار . وبعد أن ذكر أن من صفاتهم إقامة الصلاة والانفاق مما رزقهم الله ، ذكر من صفاتهم أيضا الايمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ، وما أنزل على إخوانه النبيين والمرسلين من كتب

وآيات بينات ، وخص بالذكر اليقين بالآخرة بعد ذكر الايمان بالمغيبات ، لأن الايمان باليوم الآخر وما فيه أقوى دعائم خشية الله ورهبته ، والخوف من جلاله وعظمته ؛ ثم قفى على ذلك بذكر إيمان المنافقين وعلاماتهم ، وضرب لهم الأمثال ليميز بين الايمان السليم والايمان الزائف .

وهكذا نجد القرآن الكريم فى جميع سوره يدعو الى الايمان إما تصريحا وإما تلميحا ، ليمكن له فى القلوب ، ويثبته فى النفوس .

والايمان : عقيدة تعمر القلب ، وتغمر الجوانح ، فتثمر الطاعة والفضائل وحسن المعاملة ، فليس الايمان كلمة تجرى على اللسان أو يدعيها الانسان ، بل هو عقيدة راسخة ، وأخلاق فاضلة ، وأعمال صالحة . هذه حقيقة تكشف عنها آيات القرآن الكريم التى استفاضت بذكر علامات الايمان ودلائله .

فقد بين الله فى سورة الأنفال من علامات المؤمنين أنهم إذا ذكر الله خافت قلوبهم واقشعرت جلودهم إكبارا لجلالته وخشية من عظمته ، وأنهم إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا على إيمانهم ، وأنهم يتوكلون عليه فى سائر شئونهم وأحوالهم وأعمالهم ، يوقنون أنه لا يأتى بالخير إلا هو ، ولا يدفع الشر إلا هو « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم » لا يرون الناس إلا أسبابا سخرها الله ليكونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر . فهذه ثلاث خصال إذا تمكنت من قلب المؤمن كانت حافزة له الى كل خير ، حاجزة له عن كل شر ، وهى أمور باطنية مقرها القلب ، ومستودعها الفؤاد .

وذكر من العلامات الظاهرة إقامة الصلاة والانفاق مما آتاهم الله ، ثم أخبر جل شأنه بأن هؤلاء هم المؤمنون حقا ، وبين أن جزاءهم فى الآخرة الدرجات العلى ، والغفران والرضوان ، والنعيم المقيم ، والرزق الكريم ؛ ذلك قول الله تعالى « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم

آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقـا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

وبين جل شأنه فى سـورة التوبة أنه اشترى من المؤمنين المجاهـدين فى سبيل الله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ووصفهم بأنهم التائبون من ذنوبهم ، العابدون لربهم ، الحامدون لنعمائه ، السائحون فى الأرض طلبا لعـلم نافع أو ابتغاء عمل صالح ، الراكعون الساجدون فى صلاتهم ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر نصرة لدينهم ، الحافظون لحدود ربهم ؛ ذلك قول الله تعالى « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيـل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ؛ وذلك هو الفوز العظيم . التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين » . فقد بين الله فى سورة المؤمنون أوصاف هؤلاء المؤمنين فوصفهم سبحانه بأنهم فى صلاتهم خاشعون ، وعليها يحافظون ، ويعرضون عن لغو الـكلام ولهو الحديث ، ويؤدون زكاة أموالهم مخلصين ، ويحافظون على عفتهم ، ويراعون الأمانات ، ويوفون بالعهود ؛ قال تعالى « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملـكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئـك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

وبين الله فى سورة النور أن من علامات الايمان عدم الخروج عـلى الجماعة ، فان الخروج عليها إضعاف للأمة ، وتفريق لـكلمتها ، وتشتيت لشملها ، وتمكين لعدوها وتقوية لخصومها ؛ قال تعالى « إنما المؤمنون الذين

آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم » .

وإذا كان بعض الناس يدّعون الايمان بأفواههم دون أن يكون لهم على ذلك دليل من أعمالهم ، فذلك ما ينكره الدين ، وما نعاه القرآن على المنافقين وأشياعهم ، وفيهم يقول الله « يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » . فالايمان نور ، والعصيان ظلمة ، ومحال أن يجتمع إيمان وعصيان ، كما لا يجتمع نور وظلمة ؛ وفى ذلك يقول الرسول « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » . وصدق الله إذ يقول : « ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم » . ولو أننا تتبعنا ما فى القرآن الكريم من الآيات التى عرضت للايمان والمؤمنين وصفاتهم ما اتسع المقال ؟

مدير قسم المساجد

عبد الله المراغى

المؤذنون الأول

المؤذنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أربعة :

اثنان بالمدينة ، وهما بلال بن رباح ، وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن أم مكتوم القرشى العامرى الأعمى .

وبقباء : سعد القرظ مولى عمار بن ياسر .

وبمكة : أبو محذورة ، واسمه أوس ابن مغيرة الجمحى .

تفسير القرآن الكريم

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم . «القارعة، ما القارعة،
وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث،
وتكون الجبال كالعهن المنفوش، فأما من ثقلت موازينه فهو
فى عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما
أدراك ماهيه، نار حامية».

بيان مكان نزولها وعدد آياتها :

هى سورة مكية بلا خلاف، وآياتها إحدى عشرة على المشهور .

بيان مناسبتها لما قبلها :

لما ذكر فى السورة السابقة وقت بعثرة القبور، وهو وقت البعث والنشور، أتبعه بذكر أهوال القيامة، وما يلاقيه الناس فيها من الكروب والشدائد .

الكلام على المعنى :

«القارعة» :

مأخوذ من القرع، وهو الضرب الشديد، وذلك بحسب الأصل . ثم سميت الحادثة المؤلمة من حوادث الدهر قارعة، لما فيها من الايلام .

والمراد بالقارعة هنا : القيامة، سميت بذلك، لأنها تقرع القلوب بالهول، وتملأ النفوس بالفزع ومبدؤها النفخة الاولى، ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق .

« ما القارعة » :

استفهام عن حقيقتها يقصد به تهويل أمرها ، وتفظيع حالها ، وتنبيه النفوس إلى ما يكون فيها من الأهوال التي تفزع لها القلوب ، وتدهش منها العقول ؛ حتى إنه ليصعب تصورها ، ويستحيل على العقل إدراك كنهها .

« وما أدراك ما القارعة » :

وأى شيء أعلمك بكنهها وحقيقتها ؟ إنك لا علم لك بذلك ؛ لأنها فى الشدة بحيث لا يبلغ معرفتها فهم فاهم ، ولا يدرك حالها وهم واهم ، وأنت مهما قدرتها وحدست شأنها فهو أعظم من تقديرك ، وأبعد عن حدسك .

وإن هذا الابهام بعد دلالته على تهويل أمر القارعة ، وتعظيم شأنها ، يدل على أن تفصيل شأنها ، مما لا سبيل إلى معرفته ، ولا طريق إلى إدراكه إلا من طريق العليم الخبير .

ولما بين سبحانه وتعالى أن معرفة كنهها وإدراك حقيقتها مما لا سبيل إليه ، وأنه فوق التقدير والحدس ، أخذ فى بيانها إجمالا بذكر ما يحدث للناس والجبال فى يومها ، فقال :

« يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » :

« يوم » ظرف لمحذوف دل عليه القارعة ، والتقدير : تفزعَ القلوب يوم يكون الناس ... الخ .

« كالفراش » خبر ليكون . والتقدير : يوم يكون الناس مشبهينَ الفراش المبثوث . و « الفراش » هو ذلك الطير الذي يترامى على ضوء السراج ليلا . و « المبثوث » المفرق .

شبه الله الناس يوم البعث فى هذه الآية بالفراش المبثوث ، لأنه إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، بل كل فراشة منه تذهب إلى جهة غير الجهة التى تذهب

إليها الأخرى ، فدل هذا على أن الناس إذا بعثوا فزعوا وروعوا ، ودهشوا وذهلوا ، واختلفوا فى المقاصد والجهات .

وقد شبههم فى آية أخرى بالجراد المنتشر من حيث كثرتهم وتتابعهم ، وتزاحمهم وتراكمهم ، فلا يقال : إن الجراد كبار والفراش صغار ، فكيف يشبه الشىء الواحد بما هو كبير وبما هو صغير ؟ لأن التشبيه لم ينظر فيه إلى الحجم ، بل نظر فيه إلى الفزع والحيرة واختلاف المقاصد فى الأول ، وإلى الكثرة والتتابع والتراكم والتزاحم فى الثانى .

ويقول القرطبي : إنهم فى أول حالهم يكونون فى اضطراب وحيرة ، وفى آخر حالهم يجيبون الداعى ويتجهون إليه من كل صوب ، فباعتبار الأول شبهوا بالفراش فى عدم الاهتداء ، وباعتبار الثانى شبهوا بالجراد فى معرفة المقصد والاهتداء إليه .

« وتكون الجبال كالعهن المنفوش » :

« العهن » : الصوف . « المنفوش » : المفرق باليد حتى نفشت أجزاؤه وأصبحت تطير مع أضعف ريح .

فالجبال شبهت فى تفتتها وتفرق أجزائها يوم القيامة ، بالصوف المنفوش الذى يتطاير ويذهب بالريح الضعيف .

وإنما ذكر الله تعالى حال الجبال فى يوم البعث ، للتنبيه به على أن حال الجبال القاسية والصخور الصلدة ، إذا كان كالعهن المنفوش لهذاحة القارعة وهولها وشدتها وكربها ، فكيف يكون حال الانسان عند حدوثها ، وهو صاحب الهيكل النحيل ، والجسم الضعيف ؟ !

فهل يأخذ الانسان من التذكير بالمعاد وهوله ، والبعث وخطبه ، والنشور وكربه ، أهبته لذلك اليوم الذى ترتاع له القلوب ، وتلتاع النفوس ، وتذهل له العقول ؟ ! وهل يتزود لذلك بالعمل الخالص ، والقول الصادق ، والعدل

الشامل، والانصاف الكامل؟ . وهل يكف يده عن الاغتيال والعدوان، والظلم والطغيان، والقتل والشر، والبغى والتنكيل؟.

أما والله لقد ذكر القرآن وأنذر، ووعظ وأعذر، وهدى وبين، وقد وضح الصبح وتبلج، وبعد ذلك نقول ما قال الله: «من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد».

ثم قال تعالى: «فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ماهيه، نار حامية»

«الموازين»: إما جمع موزون، وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله؛ وإما جمع ميزان، وهو الآلة التى يوزن بها.

و «العيشة الراضية»: الحياة المرضية له، المحبوبة عنده.

والمعنى: إن من رجحت حسناته على سيئاته عند فصل القضاء، فانه يصير فى الدار الآخرة فى حياة تقر بها عينه، وتسر بها نفسه، ويطمئن لها قلبه. وهى من غير شك حياة الجنان، ونعيم الخلود، وراحة الفردوس، وهل بعد نعيم الجنة نعيم يسر النفس ويشرح الصدر؟ وهل بعد عيشتها عيشة ترضى الأفئدة وتريح القلب؟

دار بها للعاملين سعادة　　وفيها لمن يخشى الاله صفاء
إذا فزت فيها بالشهود تجليا　　فأنعم به عند الاله جزاء (١)

أما قوله تعالى: «وأما من خفت موازينه» الخ ... فمعناه ما يأتى:

«خفت موازينه» رجحت سيئاته على حسناته.

«أمه هاوية» مأواه النار، لأن الهاوية من أسماء النار، وكأنها النار العميقة التى يهوى أهل النار فيها مهوى بعيدا. وقيل للمأوى: أم على سبيل

(١) البلبيني.

التشبيه بجامع الضم فى كل . وقيل : المعنى ، فأم رأسه هاوية فى النار ، لأنهم يهوون فى النار على رءوسهم .

وقال الأخفش : إن العرب كانوا إذا دعوا على رجل بالهلاك قالوا : هوت أمه، لأنه إذا هوى وسقط هالكا ، فقد هوت أمه حزنا وثكلا . فكأنه قيل : وأما من رجحت سيئاته على حسناته فقد هلك . والراجح الأول .

وضمير « هيه » يرجع إلى الهاوية ، والهاء الملحقة به هاء السكت ، تثبت وصلا ووقفا عند الجمهور ، وأسقطها حمزة فى الوصل .

وقوله : « نار حامية » : خبر لمحذوف ، والتقدير : هي نار حامية .

ومعنى الجملة : أى شيء أعلمك أيها المخاطب ماهي تلك الهاوية وما حقيقتها وما كنهها ؟ إنها نار حامية ملتهبة ، يهوى فيها من رجحت سيئاته ، وقبحت أعماله ، ليلقى جزاء ما قدم من عمل ، وما اقترف من سوء

وفيه إشارة إلى أن النيران التى نشاهدها الآن مهما اشتدت وقويت ، كأنها ليست حامية إذا نسبت إليها وقيست بها .

بيان ما قيل فى وزن الأعمال :

اختلف المسلمو فى بيان وزن الأعمال يوم القيامة ، فحمل جمهور أهل السنة الوزن على حقيقته ، كما هو الحال فى الدنيا، غير أنهم اختلفوا فى كيفية الوزن :

فقال بعضهم : إن نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها ، خصوصا وقد تقضيا وانتهيا ، والذى يوزن هو الصحف التى كتب فيها الحسنات والسيئات .

وقال جماعة : يوزن نفس الأعمال ، فتصور الصالحة بصور حسنة نورانية ، ثم تطرح فى كفة النور ، وهي الكفة اليمنى المعدة للحسنات ، فتثقل بفضل الله ، وتصور الأعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ، ثم تطرح فى كفة الظلمة ، وهى الشمال ، فتخف بعدل الله .

ثم قالوا جميعا : والأشهر الأصح أنه ميزان واحد لجميع الاعمال ، وأن له لسانا وكفتين ، والله تعالى أعلم بماهيته ، وأن الثقل والخفة مثلهما فى الدنيا . اهـ

وأنكر المعتزلة وجماعة من أهل السنة حقيقة الوزن ، وقالوا : إن الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل .

وقال الأستاذ الامام : ثقل ميزانك : إذا كان لك قدر وقيمة ، كأنك إذا وضعت فى كفة ميزان كان لها بك رجحان . وخف ميزانك : سقطت قيمتك فكأنك لست بشىء ، حتى لو وضعت فى كفة ميزان لم ترجح بك عن أختها ، ثم قال : وهذا المعنى قد صرح به فى سورة الكهف فى قوله تعالى : « فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » . وبهذا صح نسبة الخفة والثقل إلى الموازين بأجمعها . وتقدير الأعمال وما تستحقه من الجزاء فى ذلك اليوم إنما يكون على حسب ما يعلم الله لا على طريقة ما نعلم ؛ فعلينا أن نفوض الأمر فيه إليه سبحانه وتعالى مع الايمان به . ومن عجب ما قال بعض المفسرين : إنه ميزان بلسان وكفتين كأطباق السموات والأرض ولا يعلم ماهيته إلا الله ، فماذا بقى من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه إلى الله تعالى ، والكلام فيه جرأة على الله بغير نص صريح متواتر .

وقد قالوا : إن منكر الميزان بالمعنى المعروف لا يكفر ، وهذا حق ، خصوصا إذا كان القائل به يحدد له لسانا وكفتين ، مع أن البشر قد اخترعوا من الموازين ما هو أتقن من ذلك وأضبط وأوفى ببيان الموزون . أفيأبى الحكيم والخبير إلا استعمال ذلك الميزان الخشن الذى هدى العلم عقول البشر إلى ما هو أدق منه ؟ اهـ

والله أعلم . ونستغفر الله من الزلل : والله ولى التوفيق .

عبد الرحيم فرغل البلبيني
المدرس بكلية الشريعة

التشاؤم والتفاؤل

فى نظر الاسلام

روى مسلم أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا طيرة وخيرها الفأل » . قيل: يارسول الله وما الفأل؟ قال « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

ولأبى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « احسنها الفأل ، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت » .

كان أهل الجاهلية إذا خرج أحدهم لحاجة فرأى الطير طار عن يمينه ، تيمن به واستمر فيما عزم ، وإن طار عن يساره تشاءم به ورجع عما عقد ونوى عليه. فالطيرة تستعمل فى المكروه ، والفأل فى المحبوب ، وبقيت بقايا من ذلك فى كثير من المسلمين ، فنهى الاسلام عن ذلك .

فالتفاؤل هو سنة الحياة ، والطيرة أو التشاؤم نشوزها . والتفاؤل سنة الحياة لأنه سنة العمل ، وسنة الفطرة التى يدين بها الوجدان قبل أن تدين بها الأذهان . فكل منا إنما دخل هذه الحياة وهو أضعف ما يكون حولا وحيلة ، دخلها عاريا ساهيا ، قليل الأدوات ، محتاجا إلى كل عون ، فى الطعام ، واللباس والمأوى ، والوقاية ، « وخلق الانسان ضعيفا » . وكل علامة من علامات هذا الضعف البالغ ، هي فى الوقت نفسه علامة من علامات الثقة بالله ، والاعتماد على سنة الوجود ، وعلامة من علامات التفاؤل الأصيل الذى يمتزج بطبائع الأشياء .

وفى التفاؤل ارتياح واستبشار ، وفوز وظفر ، وهو عنوان الثقة بالله ، وحسن الظن به ، فهو يبعث فى النفس نشاطا ، وفى الروح قوة ، وفى العزم شدة ، ولذلك كان النبى صلوات الله عليه يعجبه الفأل .

روى الترمذى وصححه عن أنس رضى الله عنه : «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع : يانجيح ، يا راشد» .

وروى أبو داود بإسناد حسن عن بريدة «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شىء ، وكان إذا بعث عاملا سأله عن اسمه ، فاذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رئى كراهيــة ذلك فى وجهه» .

أما الطيرة والتشاؤم فانها تبعث فى النفس الاحجام ، واليأس من الظفر ، وتدعو إلى التخاذل والايحاء بالفشل ، فتضعف الروح المعنوية ويسوء الظن بالعناية الالهية ؛ قال تعالى «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» .

روى أبو داود عن ابن مسعود مرفوعا «الطيرة شرك» . لأن من عارضته المقادير فى إرادته ، وصده القضاء عن طلبته ، وكان من المتشائمين ، جعل التشاؤم عذراً خيبته ، وغفل عن قضاء الله عز وجل ومشيئته . وهذا ما قصه القرآن الكريم علينا عن أقوام رسل أربعة : قوم صالح ؛ قال تعالى «قالوا اطيرنا بك وبمن معك» فرد عليهم الله تعالى «قال طائركم عند الله» . وقوم موسى ؛ قال تعالى «ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون . فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه ، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه» ، فرد عليهم سبحانه وتعالى بقوله : «ألا إنما طائرهم عند الله ولـكن أكثرهم لا يعلمون» . وقوم عيسى عند ما أرسل الله اليهم اثنين بعد عيسى ثم عززهما بثالث «قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم» فأجابهم الله تعالى «قالوا طائركم معكم» .

وأخيرا قوم نبينا محمد صلوات الله عليه ، فقد كان المنافقون والـكفار من اليهود وغيرهم إذا أصاب الناس فى المدينة سوء يقولون : هذا من شؤم محمد ! . قال تعــالى «وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك» فرد عليهم الله تعالى «قل كل من عند الله ؛ فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا» ! . يريد فما لهم لا يعلمون حقيقة

التوحيد ، وأن كل شيء من عند الله ، فهو خالق المنافع والمضار . ثم أعقب ذلك بإرشادهم الى حقيقة أخرى وهي سنة الأسباب والمسببات وأن الانسان لا يقع في شيء يسوءه إلا بتقصير منه في إستبانة الأسباب ، وجهل بتعرف السنن ، وعدم اتقاء أسباب الضرر . فينبغي أن يرجع الى نفسه حينئذ يلومها في غير يأس وشؤم في الحيـاة ، وأن يأخذ ممـا وقع له درسا الى تهذيبهـا وإرشادها ، فتنفتح أمامه آفاق الآمال ، وتمتلىء جوانحه بالأماني ، فقال تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

يقول توماس ارنولد في رسالة له عنوانها العقيدة الاسلامية :

« إن الايمان بقضاء الله وقدره ، وأن الخير منه والشر منه ، وأن كل شيء يحدث إنما يحدث بإرادته ، ولا يستطيع مخلوق أن يفعل ما لم يرده ، كما قال تعـالى « والله خلقـكم وما تعملون » — « هـذه العقيدة قائمة على آيات في القرآن الـكريم صريحة بذلك ، قال تعالى : « ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » ، « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » ، « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ولـكن في الوقت نفسه تجـد آيات في القرآن تشير الى مسئولية الانسان الذي وهبه الله العقل ، ودعاه الى الخير ، وحذره عاقبة الشر ، مما جعل الاختيار في الخير والشر مبنيا على إرادته واختياره وحده ، فقـال تعالى في صدد الـكلام على عقـاب الذين كفروا يوم القيامة « وما ظلمهم الله ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون » ، « إن الله لا يغـير ما بقوم حتى يغـيروا ما بأنفسهم » .

« هذا على أننا نجد الاسلام كما عرف عنه في كل أطـوار التاريخ بأنه دين أخلاق ، يشدد على اتباعـه في التمسك بالواجبات الأخلاقية . وإن فيما يفرضه عليهم من الاعتقاد بأن كل شيء بأمره ، وأن كل خير إنمـا هو طوع مشيئته وإرادته ، مايغرس في نفوسهم التبجيل وتكريم النفس مما يظهر أثره في سلوكهم الخارجي » .

« وكذلك في أوقات المحنة والآلام نرى لهذه العقيدة أثرها في الكف عن الشكوى ، وتمجيد خلق التسليم والرضا الذي هو من سمات حياة الايمان . فإذا مسهم ضر أو نزل بهم نصب كانوا تحت تأثير هذه العقيدة أكثر احتمالا وصبرا حين يذكرون أن هذا من رب كتب على نفسه الرحمة ، رءوف بعباده رحيم .

« فعقيدة القضاء والقدر في الاسلام ليست بعقيدة لاستسلام للأقدار والحظوظ ، والوقوف موقف الخضوع والخمود .

« لذلك كان من التعاليم الاسلامية التي يجب أن يتمسك بها كل تقي ، ويتثقف بها كل مؤمن ، أن يثق بالعدل الالهي ، وأن كل ما يحدث له من المصائب إنما هو مقسوم له . فيجب أن يقابله بالصبر والتسليم ، إذ هو من فعل الحكيم الخبير ، مهما خفيت عن الانسان حكمته ، وغابت عنه أسرار أفعاله .

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

« ونحن نلمح هذا الدرس يتكرر ويتردد في تآليف علماء الدين ، ولا سيما أهل التصوف منهم . وقد صور هذا الدرس في قصة موسى مع العبد الصالح — الذي لم يذكر اسمه صراحة في القرآن — والقصة معروفة في سورة الكهف مغزاها أن يعرف المسلمون أن وراء ظواهر الأشياء بواطن تحمل أسرارا دقيقة ، وحكما خفية ، لا يدرك كنهها العقل البشري ، ولا يصل الى غورها الفكر الانساني ، فيجب اعتقاد الحكمة في أفعاله تعالى ، والخير في تصاريف شئونه ، وإن خفيت عنا حكمه ، وغابت عن عقولنا أسراره .

عبد الوهاب حمودة

حكم

— إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما .
— صبرك على الاكتئاب ، خير من حاجتك الى الأصحاب .
— من اشترى مالا يحتاج اليه ، باع ما يحتاج اليه .

الوقف اللازم

ذكرنا فى العدد الماضى الوقف اللازم فى جميع سور القرآن إجمالا . ووعدنا بالكلام على كل وقف منها تفصيلا . وها نحن أولاء نفى بوعدنا فنقول :

قوله تعالى « وما هم بمؤمنين » الآية ٨ من سورة البقرة .

الوقف عليه حسن عند من جعل الوقف على رءوس الآى سنة . وقال النيسابورى : لازم ، إذ لو وصل بقوله « يخادعون الله » صارت الجملة صفة للمؤمنين ، فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع . ومراد الله جل ذكره نفى الايمان وإثبات الخداع . اهـ

وقال القسطلانى : بمؤمنين ، يتأكد الوقوف عليه لئلا توهم الوصلية حالا ، أو تام على اللاحق مستأنف ، كأن قائلا يقول : لم يتظاهرون بالايمان وليسوا بمؤمنين ؟ فقيل : يخادعون ... الخ . أو ناقص على أن يكون بدلا من يقول ، أو كاف وفاقا للدانى وابن الأنبارى . اهـ

وقال الأشمونى : تام إن جعل ما بعده استئنافا بيانيا ، كأن قائلا يقول : ما بالهم قالوا آمنا ويظهرون الايمان وما هم بمؤمنين ؟ فقيل : يخادعون الله . وليس بوقف إن جعلت الجملة بدلا من الجملة الواقعة صلة لمن وهي يقول ، وتكون من بدل الاشتمال لأن قولهم مشتمل على الخداع ، أو حالا من ضمير يقول . ولا يجوز أن يكون يخادعون فى محل جر صفة لمؤمنين ، لأن ذلك يوجب نفى خداعهم ، والمعنى على إثبات الخداع لهم ونفى الايمان عنهم ، أى وما هم بمؤمنين مخادعين ، وكل من الحال والصفة قيد يتسلط النفى عليه . وعليهما فليس بوقف . اهـ

وفى الاملاء ما نصه : يخادعون الله — فى الجملة وجهان : أحدهما لا موضع لها . والثانى : موضعها نصب على الحال . وفى صاحب الحال والعامل فيها

وجهان : أحدهما هي من الضمير فى يقول ، فيكون العامل فيها يقول ، والتقدير يقول : آمنا مخادعين . والثانى هى حال من الضمير فى قوله بمؤمنين ، والعامل فيها اسم الفاعل ، والتقدير : وما هم بمؤمنين فى حال خداعهم ، ولا يجوز أن يكون فى موضع جر على الصفة لمؤمنين ؛ لأن ذلك يوجب نفى خداعهم ، والمعنى على إثبات الخداع. ولا يجوز أن تكون الجملة حالا من الضمير فى آمنا ، لأن آمنا محكى عنهم بيقول ، فلو كان يخادعون حالا من الضمير في آمنا لكانت محكية أيضا ، وهذا محال لوجهين : أحدهما : أنهم ما قالوا آمنا وخادعنا . والثانى أنه أخبر عنهم بقوله : يخادعون ولو كان منهم لكان نخادع بالنون ، وفى الكلام حذف تقديره : يخادعون نبي الله . وقيل هو على ظاهره من غير حذف اهـ .

وفى الدر : وجاز فى يخادعون أن يكون مستأنفا كان قائلا يقول : لم يتظاهرون بالايمان وليسوا بمؤمنين ؟ فقيل يخادعون . قيل : وأن يكون بدلا من يقول أو حالا من ضمير يقول . ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل كما ذهب إليه أبو البقاء، وهذا إعراب خطأ . وذلك أن «ما» دخلت على الجملة فنفت نسبة الايمان اليهم فاذاقيدت تلك النسبة بحال تسلط النفى على تلك الحال وهو القيد فنفته ، ولذلك طريقان فى لسان العرب : أحدهما وهو الأكثر أن ينتفى ذلك القيد فقط ويكون إذذاك قد ثبت العامل فى ذلك القيد، فاذا قلت : مازيد أقبل ضاحكا . فمفهومه نفى الضحك ويكون قد أقبل غير ضاحك ، وليس معنى الآية على هذا ، إذ لا ينفى عنهم الخداع فقط فيثبت لهم الايمان بغير خداع، بل المعنى نفى الايمان عنهم مطلقا . والطريق الثانى وهو الأقل هو أن ينتفى القيد وينتفى العامل فيه ، فكأنه قال فى المثال السابق لم يقبل زيد ولم يضحك ، أى لم يكن منه إقبال ولا ضحك . وليس معنى الآية على هذا إذ ليس المراد نفى الايمان عنهم ونفى الخداع .

والعجب من أبي البقاء كيف تنبه لشيء من هذا فمنع أن يكون يخادعون في موضع الصفة فقال : ولا يجوز أن يكون يخادعون فى موضع على الصفة لمؤمنين لأن ذلك يوجب نفى خداعهم والمعنى على إثبات الخداع . اه كلامه فأجاز ذلك فى الحال ولم يجز ذلك فى الصفة وهما سواء ، ولا فرق بين الحال والصفة فى ذلك بل كل منهما قد يتسلط المنفى عليه اه.

وفى إعراب السمين : هذه الجملة الفعلية ، يعنى جملة يخادعون الخ - تحتمل أن تكون مستأنفة جوابا لسؤال مقدر ، وهو ما بالهم قالو آمنا وماهم بمؤمنين ؟ فقيل يخادعون الله ، وتحتمل أن تكون بدلا من الجملة الواقعة صلة لمن وهى يقول ، ويكون هذا من بدل الاشتمال ، لأن قولهم كذا مشتمل على الخداع. اه

***

قوله تعالى « فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا » آ ٢٦ س بقرة .

قال النيسابورى : لازم ، لأنه لو وصل صار ما بعده صفة له ، وليس بصفة ، إنما هو ابتداء لاخبار من الله عز وجل جوابا لهم .

وقال القسطلانى : كامل على جعل التالى -يعنى « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا» استئنافا جوابا لكلامهم؛ أى إنما أراد الله أن يضل به كثيرا وهم الذين لا يؤمنون ، ويهدى به كثيرا وهم المؤمنون ؛ فهما جملتان مستأنفتان جاريتان مجرى البيان والتفسير للجملتين السابقتين . أو (ناقص) على أنهما من كلام الكفار ، والمعنى أنهم قالوا لم ضرب الله مثلا فهمه البعض ولم يفهمه البعض وقد كان يجب أن يضرب مثلا يفهمه جميع الناس؟ فأجابهم الله تعالى بقوله : «وما يضل به إلا الفاسقين ، وأما تجويز ابن عطية بأن يكون يضل به كثيرا من كلام الكفار ويهدى به كثيرا من كلام الله تعالى ، فقال فى النهر : هو تفكيك للكلام وهو غير ظاهر . اه

وقال شيخ الاسلام زكرياء : كاف ؛ إن جعل ما بعده مستأنفا جوابا من الله لكلام الكافرين ، وإن جعل من تمام الحكاية عن الكفار لم يحسن الوقف على ذلك . ولا يبعد أن يكون جائزا . اه

وفى المنار ما نصه : كاف على استئناف ما بعده جوابا من الله للكفار، وإن جعل من تتمة الحكاية عنهم كان جائزا . اهـ

وفى البحر: قوله تعالى «يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا» جملتان مستأنفتان جاريتان مجرى البيان والتفسير للجملتين السابقتين المصدرتين بأما . واختار بعض المعربين والمفسرين أن يكون قوله تعالى «يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا» فى موضع الصفة لمثلا ؛ وكأن المعنى : ماذا أراد الله بهذا مثلا يفرق به الناس إلى ضلال وإلى هداية؟ فعلى هذا يكون من كلام الذين كفروا. وهذا الوجه ليس بظاهر ، لأن الذى ذكر أن الله لا يستحيى منه هو ضرب مثل ما أى مثل كان بعوضة أو ما فوقها ، والذين كفروا إنما سألوا سؤال استهزاء وليسوا معترفين بأن هذا المثل يضل الله به كثيرا ويهدى به كثيرا ، إلا إن ضمن أن معنى الكلام أن ذلك على حسب اعتقادكم وزعمكم أيها المؤمنون، فيمكن ذلك. ولكن كونه إخبارا من الله تعالى هو الظاهر . اهـ

وفى الفتوحات الالهية : وهاتان الجملتان لا محل لهما، لأنهما كالبيان للجملتين قبلهما المصدرتين بأماوهما من كلام الله تعالى، وقيل فى محل نصب لأنهما صفتان لمثلا ، أى مثلا يفترق به الناس الى ضالين ومهتدين ، وهما على هذا من كلام الكفار . وأجاز أبو البقاء أن يكون حالا من اسم الله أى مضلا به كثيرا وهاديا به . وجوز ابن عطية أن تكون جملة قوله يضل به كثيرا من كلام الكفار، وجملة قوله ويهدى به كثيرا من كلام البارى تعالى، وهذا ليس بظاهر لأنه إلباس فى التركيب . اهـ

***

قوله تعالى « ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير » آ ١٢٠ س بقرة

الجمهور على أنه تام والجملة بعده استئنافية وجعله بعض كاتبى المصاحف من المشارقة لازما ، ولم أر له وجها ، والظاهر أنه من الأوقاف المأثورة المسماة عند بعضهم بالأوقاف المنزلة .

قوله تعالى ـ « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين » آ ١٤٥ س بقرة .

قال النيسابوري : لازم ، لأنه لو وصل صار صفة وهو مبتدأ فى مدح عبد الله بن سلام وأضرابه . اهـ

وقال القسطلاني : كامل لأن الذين آتيناهم الكتاب مبتدأ خبره يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . وقال ابن الأنباري والداني وزكريا والاشموني: تام . وفى الاملاء: «الذين آتيناهم الكتاب ، مبتدأ ويعرفونه الخبر. ويجوز أن يكون الذين بدلا من الذين أوتوا الكتاب فى الآية قبلها . ويجوز أن يكون بدلا من الظالمين فيكون يعرفونه حالا من الكتاب أو من الذين ، لأن فيه ضميرين راجعين عليهما. ويجوز أن يكون نصبا على تقدير أعني، ورفعا على تقدير : هم . اهـ

وفى البحر: وجوز أن يكون الذين مجرورا على أنه صفة للظالمين، أو على أنه بدل من الظالمين، أو على أنه بدل من الذين أوتوا الكتاب فى الآية التى قبلها، ومرفوعا على أنه خبر مبتدأ محذوف، أى هم الذين ، ومنصوبا على إضمار أعنى. وعلى هذه الأعاريب يكون قوله يعرفونه جملة فى موضع الحال إما من المفعول الأول فى آتيناهم ، أو من الثانى الذى هو الكتاب لأن فى يعرفونه ضميرين يعودان عليهما . والظاهر هو الاعراب الأول (يعنى الذين آتيناهم الكتاب ، مبتدأ ، ويعرفونه جملة فى موضع الخبر عنه) لاستقلال الكلام بجملة منعقدة من مبتدأ وخبر، والظاهر انتهاء الكلام عند قوله : إنك إذا لمن الظالمين . والضمير المنصوب فى يعرفونه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم . قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . وروى عن ابن عباس واختاره الزجاج ورجحه التبريزى ، وبدأ به الزمخشري فقال: يعرفونه معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين للشخص . قال الزمخشري وغيره واللفظ للزمخشري: وجاز الاضمار وإن لم يسبق له ذكر، لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما ، معلوم بغير إعلام . انتهى

واقول: ليس كما قالوه من أنه إضمار قبل الذكر ، بل هذا من باب

الالتفات ، لأنه تعالى قال : «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك » ثم قال: ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ... الى آخر الآية، فهذه كلها ضمائر خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت عن ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة ، وحكمة هذا الالتفات أنه لما فرغ من الاقبال عليه بالخطاب أقبل على الناس فقال : الذين آتيناهم الكتاب واخترناهم لتحمل العلم والوحي يعرفون هذا الذي خاطبناه في الآى السابقة وأمرناه ونهيناه لا يشكون في معرفته ولا في صدق أخباره بما كلفناه من التكاليف التي منها نسخ بيت المقدس بالكعبة لما في كتابهم من ذكره ونعته والنص عليه ، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل . فقد اتضح بما ذكرناه أنه ليس من باب الاضمار قبل الذكر وأنه من باب الالتفات، وتبينت حكمة الالتفات . ويؤيد كون الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماروى أن عمر سأل عبد الله بن سلام رضى الله عنهما وقال: إن الله قد أنزل على نبيه الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه الآية فكيف هذه المعرفة؟ فقال عبد الله ياعمر، لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم أشد من معرفتي بابني . فقال عمر : وكيف ذلك ؟ فقال أشهد أنه رسول الله حقا وقد نعته الله في كتابنا ولا أدرى مايصنع النساء. فقال عمر: وفقك الله يا بن سلام فقد صدقت. وقد روى هذا الأثر مختصرا بما يرادف بعض ألفاظه ويقاربها وفيه : قبل عمر رأسه . وإذا كان الضمير للرسول فقيل المراد معرفة الوجه وتمييزه لامعرفة حقيقة النسب، وقيل المعنى يعرفون صدقه ونبوته . وقيل الضمير عائد على الحق الذي هو التحول إلى الكعبة. قاله ابن عباس وقتادة أيضا وابن جريج والربيع . وقيل عائد على القرآن ، وقيل على العلم ، وقيل على كون البيت الحرام قبلة ابراهيم ومن قبله من الانبياء . وهذه المعرفة مختصة بالعلماء لأنه قال الذين آتيناهم الكتاب ، فان تعلقت المعرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون حصولها بالرؤية والوصف ، أو بالقرآن فحصلت من تصديق كتابهم للقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ، أو بالقبلة أو التحويل فحصلت بخبر القرآن وخبر الرسول المؤيد بالخوارق . اهـ

الذكر باسم الصدر

يستفهم السائل عن الذكر باسم الصدر ، وبالطبع ليس فى الشريعة أسماء للصدر وأسماء للحلق . وإنما تعرف الشريعة أسماء الله الحسنى ، قال الله سبحانه وتعالى « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » . وقد بينت السنة الكريمة أيضا أن لله أسماء حسنى من عرفها ودعا الله بها وقدسه بما تحوى من تنزيهات أدخله الله الجنة . فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » متفق عليه . وساق الترمذى وابن حبان الأسماء . فلم يعرف المسلمون فى الصدر الاول أسماء لله غير هذه الأسماء التى رواها الثقات عن السيد المعصوم ، صلوات الله وسلامه عليه .

إذا كان الأمر كذلك فهل يمكننا أن نقول إن ذكر الله باسم الصدر المنقول عن أبى الحسن الشاذلى ، بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، فمن يذكر الله بهذا الاسم يدخله الله نار جهنم خالدا فيها أو غير خالد ؟

أقول : إن الله سبحانه وتعالى لايحب الغلو فى الدين كما لايحب التنطع فيه ، وتضييق المسالك ، والحجر فى الأمور وأخذها من ناحية واحدة . أنا على كل حال لا أعرف مبلغ صحة نسبة هذا الاسم إلى أبى الحسن . فان كانت نسبته الى هذا الولى العظيم صحيحة فان البحث فى جواز الذكر به يأخذ طريقا آخر فان أبا الحسن من أئمة التصوف . وأهل الحق من أكابر الأولياء لهم إلهامات صحيحة مطابقة للشرع كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « قد كان فى الامم قبلكم محدثون ، فان يكن فى أمتى أحد فعمر » وكان عمر يقول : « اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم مايقولون فانها تجلى لهم أمور صادقة » وفى الترمذى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ثم قرأ قوله « إن فى ذلك لآيات

للمتوسمين » وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بهـا ، ورجله التى يمشى بها » وقال صلى الله عليه وسلم « من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ، ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملـكا يسدده» . سأل الرازى شيخا من شيوخ التصوف فقال له ياشيخ ! بلغنا أنك تعلم علم اليقين ، فقال : نعم، فقال : كيف تعلم ؟ فقال : هي واردات ترد على النفوس تعجز عن ردهـا . والواردات تورث علما ضروريا يحصـل معه طمأنينة وسكينة توجب العمل به . نقل هـذا شيخ الاسـلام ابن تيمية ، وأقر به كثير من حذاق النظار كالغزالى والرازى والآمدى . فاذا سلمنا أن الذكر باسم الصـدر من واردات الامام الشاذلى، وهي مصدر من مصادر العلم كما تقدم، ألا يقال : يجب أن تكون هذه الواردات متفقة مع الشريعة لا تصادم كتابا أو سنة ؟ أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم : إن الذكر بهـذا الاسم بعد تقرير ماتقدم لايصادم كتابا ولا سنة .

أما عـدم مصادمته للكتـاب فذلك ظاهر ، لأن المراد من الأسماء الحسنى فى الآية ليس محددا تمام التحديد . ولذا قال جار الله الزمخشرى : يجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى فصفوه بهـا وذروا الذين يلحدون فى أوصافه ، ويجوز أن يراد : اتركـوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصـواب فيسمونه بغـير الأسماء الحسنى ، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه ، كما سمعنا البـدو يقولون بجهلهم : يا أبا المكارم ، يا أبيض الوجه، ياسخى. . . انتهى . فالآية على أى حال لاتمنع من أن يطلق عليه سبحانه وصف حسن أو اسم حسن ، عربى أو غير عربى ، مادام فيه من الحسن مايتناسب مع عظمه الله تعالى.

وأما عدم الاصطدام بالسنة فذلك واضح ـد الوضوح من كلام علماء الحديث فقد قال النووى : ليس فى الحـديث حصر أسماء الله تعالى ، وليس

معناه أنه ليس له اسم غير التسعة والتسعين ، ويدل عليه ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان من حديث ابن مسعود مرفوعا « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، والحديث صريح فى أن لله تعالى أسماء لم يعرفها أحد من خلقه بل استأثر هو بعلمها ، ودل أيضا على أنه قد يعلم بعض عباده بعض أسمائه. وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربى المالكى عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم ، قال ابن العربى : وهذا قليل فيها ولو كان البحر مدادا لنفد البحر قبل أن تنفد أسماء ربى ولو جئنا بسبعة أبحر مثله مددا .على أن المسلمين لم يجمعوا على أن الأسماء توقيفية. نعم قال أبو الحسن الأشعرى إنه لا يجوز أن يسمى إلا بما سمى به نفسه . وقال بعض العلماء : يجوز تسميته بما يليق به .

وأياما كان فاسم الصدر اسم غير عربى، ولا يلزم من عدم عربيته عدم جواز الذكر به ففى الفتاوى الهندية: لو كبر بالفارسية جاز سواء كان يحسن العربية أولا، إلا أنه إذا كان يحسنها يكره، وعلى هذا جميع أذكار الصلاة من التشهد والقنوت والدعاء وتسبيحات الركوع والسجود. فيجوز ذكرها بالتركية والزنجية والحبشية والنبطية. انتهى . فاذا كان هذا فى أذكار الصلاة فذكره سبحانه بغير العربية فى غير الصلاة أولى بالجواز . والله سبحانه أعلم ؟

محمد جابر

مراقب بمعهد القاهرة ، ومن قراء الطيبة

الخوف من الله

كان على بن الحسين رضى الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم . . . !

ملاحظات خاطفة

تحدثنا إلى حضرات القراء الكرام ، فى مقالنا الأول ، عن شيء من أدب القرآن الكريم ، ومما يجب أن يلاحظه القارىء والسامع عند تلاوة القرآن ، ومما يجب أن يتحلى به القارىء خاصة من الخشية والوقار ، ومراعاة التجويد وحسن الأداء ، باعتباره متحدثا عن الله عز وجل . واليوم نقدم ملاحظات خاطفة ، راجين من حضرات أصدقائنا القراء الأفاضل مراعاتها ، وهي :

أولا ـ الالتقاط : وهو اختيار آيات من سور متعددة فى مجلس واحد ، كأن يتلو آيات التبشير ، ويترك آيات الانذار والتخويف ، مثال ذلك أن يقرأ سورة الواقعة حتى أصحاب اليمين ، ثم يترك أصحاب الشمال ويتخطى الآيات من قوله تعالى « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم » إلى آخره ، ويبدأ من قوله تعالى « أفرأيتم ما تحرثون » أو قوله « إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » . والمصيبة الطامة ، أن بعض القراء فى المآتم يفعلون ذلك ، ويلتقطون آيات التبشير التقاطا ، ليسروا بذلك أهل الميت ، ويجاوزون آيات الانذار والتحذير مجاوزة مكشوفة ، وترى بعضهم يمر عليها فى سره من الكرام ولا يجهر بها كأنه يقرؤها لنفسه فقط ، أو كأنها ليست من القرآن ، وليت شعرى ! كيف يمر حتى بقلبه على الآيات « من أصحاب الشمال » إلى قوله تعالى « إنه لقرآن كريم » فى أقل من دقيقة أو نصف دقيقة ! والأدهى من ذلك أن يحضر لمجلس القرآن غنى أو ذو جاه أو منصب كبير ، حين التلاوة فيلتقط القارىء من أجله ، وتكون الآية التى وفد صاحبنا عندها آية إنذار ، فيتجاوز القارىء عنها إكراما أو خوفا من حضرة الوافد العظيم ، وهكذا يخشون الناس ، ولا يخافون الله ، فى أمانة تبليغ الكتاب الذى ورثوه وأضاعوه وتلاعبوا به ، واشتروا بآياته ثمنا قليلا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حقا إنها لمهزلة يجب الضرب على أيدى القراء الذين يمثلونها ، وليقرءوا القرآن كما أنزل ، وليرضوا الرحمن ، ولا يهمهم سخط الانسان . وقد شهدت بنفسى قارئا يقرأ سورة الكهف فى مسجد جامع يوم الجمعة ، وكان قد وصل فى قراءته إلى قوله تعالى « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا » ، وعندئذ سمع ضجيج هتاف على أبواب المسجد ، إيذانا بقدوم عظيم ، فما كان من صاحبنا القارىء إلا أن ابتلع هذه الآيات وابتدأ من قوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » ، وكأنه بذلك يريد أن يرضى هذا القادم العظيم ، ولو على حساب التقاط آى الذكر الحكيم ، وإغضاب رب العالمين . فلا أكثر الله فى الأمة من أمثال هؤلاء القراء !. وسوف يبدلهم الله بقوم غيرهم ، ثم لا يكونون أمثالهم .

أذكرنى هذا الحادث — والشىء بالشىء يذكر — بأن الحاكم بأمر الله ، كان يجلس على عرش ملكه وحوله رجال دولته وبطانة أفسد ضميرها النفاق ، من كثرة بطش الحاكم وغدره بكل من تبدر منه أى إشارة أو عبارة لا تقرر تقديسه والخضوع التام له ، حتى قالوا إنه ادعى الألوهية ، وكان له طابور خامس من الغلمان الملاح والفتيات الحسان ، يأتونه بأخبار البيوت وأسرار الأسر ، فيوهم الناس أنه يعلم الغيب ، ويستطيع أن يخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، فظاهره على طغيانه وادعائه كثير من الناس وداراه كذلك كثير من الناس ، والألمعى منهم هو الذى كان يدس له فى البريد الوارد عليه ، كلاما صريحا يشعره بحقيقة أمره ، وأنه لا يعلم من أمور الغيب شيئا ، وخير له أن يرجع عن غيه وجبروته وادعائه . ومن ذلك الشاعر الظريف الذى دس له قصيدة من الشعر فى البريد الوارد عليه آخر شطر فيها ...... إن كنت ربا فأظهر كاتب الورقه ! !

ويحدثنا التاريخ أنه كان يأمر بالقراء فيأتون مجلسه ، ليستمع منهم القرآن إذا شاء ، وحدث يوما ، وهو فى نزوة من نزواته ، ومجلس حافل برجال

دولته من جميع الطبقات ، أن أمر قارئا بقراءة ما تيسر من آى الذكر الحكيم فأخذ يردد قول الله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما » ويشير إلى الحاكم بأمر الله ، فى أثناء قراءته ، كأنه المعنى بالآية الكريمة ، والحاكم بأمر الله يزهو وتنبسط أساريره ، والناس من حوله يداهنونه ويشبعون رغبته من الاذعان والتسليم لأمره وحكمه حتى لكأنه المعنى بالآية الكريمة كذلك ، فلما فرغ القارىء الأول من قراءته ، التفت الناس إلى قارىء آخر ، وكان ابن الشجرى فيمن حضر المجلس من القراء ، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم «يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز» ووجه الحاكم يتمعر(١) ويصفر ، والناس فى عجب من جرأة القارىء الثانى وثباته فى الحق فلما فرغ من قراءته ظن أكثر الحضور أن الحاكم بأمر الله سينتقم من هذا القارىء ، الذى أخجله وأوقفه عند حده ، ولكن الأمر جاء بعكس ما كانوا يظنون ، فقد أقبل الحاكم على القارىء الثانى ، وهش له ، وأمر له بمائة دينار ، وانتهر القارىء الأول ، ولم يعطه شيئا ، وانفض المجلس وكثر حديث الناس فى المسألة . وجاء ناصح أمين إلى القارىء الثانى وهمس فى أذنه قائلا : لا يغرنك ما رأيته من بشاشة الحاكم وتلطفه معك ، فان تلك عادته مع من يريد الغدر به ، وإنى أشير عليك بالهرب من وجهه ، وإلا نكل بك . فصدع الرجل للنصح وأخذ أهبته للسفر ، فركب مركبا ، فغرقت به ، فرئى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال « ما زال الربان يجدف بنا ، حتى أرسى بنا على باب الجنة »!.

---

(١) يتمعر : يعنى ينقبض ويتقلص

فليعمر القارىء ما بينه وبين الله، وليؤد أمانة القرآن كما أمره الله، ثم لا يبالى بعد ذلك بالدنيا كلها رضيت أم سخطت :

فليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب

ولا يزال القرآن يعز أولياءه وحفاظه والقائمين على حدوده، حتى يرسو بهم على أبواب الجنة، فليتدبر ذلك القارئون .

الملاحظة الثانية : التنكيس ــ وهو تلاوة الآى على غير الترتيب المعروف فى المصحف، كأن يقرأ القارىء الأول بعض آى الذكر الحكيم من سورة آل عمران، فيجىء القارىء الثانى فينكس ويقرأ من سورة البقرة، وهذه ظاهرة آثمة، كثيرا مانلاحظها، وقد عمت بها البلوى عند جهلة القراء بأدب القرآن، وقد يعتذر بعضهم بأنه ليس حافظا ما بعد، فاضطر إلى أن ينكس ويقرأ مما قبل لأنه يحفظه جيدا، وهذا عذر أقبح من الذنب، فى الواقع ونفس الأمر؛ لأن أول ما يجب على من اتخذ قراءة القرآن مهنة له، وتصدر موائده وجلس على منصة مرفوعة رفعه إليها القرآن، أن يكون حافظا مجيدا واعيا، مستعدا لأن يبدأ من حيث انتهى القارىء الذى سبق، على حسب الترتيب الذى رتب به القرآن، ابتداء من أم الكتاب فالبقرة إلى الاخلاص، فالمعوذتين ؛ وإلا كان كمن يسعى إلى الهيجاء بغير سلاح، وعرض نفسه لأثقال القيل والقال، وما أكثر كلام القراء بعضهم فى بعض !

ويؤسفنى بهذه المناسبة، أن أصرح بأن الأغلبية الساحقة من القراء فى هذا الزمان، يتخذون من بعض السور القصار وغير القصار، شعارا يقرأ فى المناسبات، حفظوه وكرروه، وأحسنوه، وما سوى ذلك من بقية القرآن الكريم، فقليل منهم الذى يجيد حفظه، ويحسن قراءته بدون تعثر، ولا تفوته سنة الترتيب أبدا. وعندى أن أمثال هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم

للقراءة وهم لا يحفظون ، يجب إقصاؤهم عن هـذا المكان العالى الذى رفعهم إليه القرآن ، وهم لنعمه جاحـدون ، وعن حفظه ساهون . وليسوا بالطبع ممن يدخل فى عموم قوله صلوات الله وسلامه عليه « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » فان المراد بهم القائمون بتحفيظه وتجويده ، وشرح معانيه للناس بعد حفظهم وتجويدهم ، وتعلمهم لتعاليمه ومعانيـه ؛ وقـديما قال الاولون « فاقـد الشىء لا يعطيه » . ولولا جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، وما تسديه للأمة من الخـير الكثير ، بتحفيظ الناشئة كتاب الله ، لضاع القرآن من زمن بعيـد .

الملاحظة الثالثة ـ هذه التنفيلة الأخيرة التى يسميهـا إخواننا القراء « بالشيلة » ! ! فيقرءون فى نفس واحد الآية الأخيرة من الربع أو السورة ، بنغمة خاصة ، وعلى وجه خاص ـ هذا العمل ما مصدره : وما أصله ؟ وهل له من دليل فى كتاب الله ، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو عمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ؟ ما علمنا بشىء من هذا ، ولا نرى لهذا العمل وجها ، وقد يكون ونحن لا نعلم ، فهل عند الذين يروجون لهذه البضاعة علم فيخرجوه لنا ، حتى نعلم أنه تقليد إسلامي ، فـلا نعترض عليه ، أو نسجل له ملاحظة خاصة كما فعلنا فى هذه الكلمة التى جعلنا عنوانها ، ملاحظات خاطئة ، قد يتهاون بها بعض الناس ، وفى الحق إن خطرها لعظيم ـ « وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم » !

ونرجو مخلصين ، أن يساير أصدقاؤنا قراء القرآن الكريم فى الحفلات والمناسبات والاذاعة اللاسلكية وغيرها ـ النهضة الدينية التى يشع منها على المسلمين نور القرآن ، وهدى القرآن ، وتوجيه القرآن ، وفيض القرآن . وقد جاء فى الحديث « ستكون فتن » قلنا : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس

بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن طلب الهدى فى غـيره أضله الله ، وهو الذكر الحـكيم ، وهو الصراط المستقيم . . . . » . إلى آخر ماجاء فى هذا الحديث ، وأحاديث أخرى ، تبين أن القرآن كتاب الـكون يهدى للتى هي أقوم ، وسفر الوجود لم يفرط الله فيه من شيء ، وحجة الله على العباد إلى أن تقوم الساعة ، وأهم مقاصده تركيز العقيدة والايمان بالله وحده لاشريك له ، وكذلك الايمان باليوم الآخر وعدالة الجزاء ، وأنه تعالى لا يضيع عمل عامل ؛ ثم كيف نعبده وكيف نعامل بعضنا بعضا ، فلم يترك فى باب العبادات والمعاملات شيئا إلافصله تفصيلا ، ثم كيف نصل على ضوء تعاليمه إلى الـكمال الانسانى الذى يمكن أن يدركه البشر المثاليون ، ثم العبرة من قصص القرآن وأحاديث الأولين لنلمس العبرة ، ونتعرف سنن الله الـكونية ونمشى سويا على صراط مستقيم .

وسنعرض لبيان بعض هـذه المقاصد والغايات التى من أجلها أنعم الرحمن علينا بنعمة القرآن ، على صفحات هذه المجلة ، كما سبق وعـدنا ، إن شاء الله . وسنلتقى هنا بـين الفينة والفينة ، وكلما واتتنا الفرصة ، عـلى موائد القرآن لنغذى أرواحنـا ، ونشفى صدورنا ، وننتفـع بالذكرى « فإن الذكرى تنفع المؤمنين » فالى اللقاء ؟

سيد حسن الشقرا

واعظ طنطا

احتفال الاتحاد العـــــام لجماعة القراء

بذكرى الملك فؤاد

فى مساء الخميس ٢٨ من إبريل احتفل الاتحاد العام لجماعة القراء على عادته بذكرى الملك فؤاد الأول . فى مسجد مزبان بميدان محمد على الـكبير ، فاجتمع جمهور القراء تحت إشراف فضيلة الشيخ على محمـد الضباع ، وأخـذوا يرتلون آيات الذكر الحـكيم ، ويترحموز على صاحب الذكرى العظيم حتى منتصف الليل رحم الله الملك فؤاد ، وأسبغ عليه شآبيب الرحمة والرضوان

حسن البيان

فيما تشابه من آى القرآن

قدمنا فى المقـال السابق أن من الـكلمات المتشابهات الواردة فى القرآن الكريم كلمة « استوى » وما يراد بها ، وصححنا أنه قد يراد بها القصد، على معنى تعلق التنجيز الحادث ، وأنه لا يصح القصد بمعنى توجه الفكر بعد الغفلة بالنسبة للذات الأقدس ، إذ ذلك محال عليه جل وعلا . ونريد أن نستقصى الـكلام عـلى السموات السبـع والأرضين السبـع فى هذا المقال .

قال الله تعالى « فسواهن سبع سموات » وقال فى سورة فصلت، فقضاهن سبع سموات » . وقال فى سورة الملك « الذى خلق سبع سموات طباقا » وقال فى سورة الطلاق : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » تلك الآيات ناطقة بوجود سموات سبع مبنيات لها سمك، يؤيده قوله تعالى « والسماء بنيناها بأيد » وقوله تعالى « أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها » وفى هذا رد صريح على علماء الهيئة القائلين ليس هناك سماء مبنية وإنما هى كواكب معلقة فى الفضاء تدور فى مدار مخصوص وهى تسمى سماء لأن السماء معناه العلاء . . . فهذه الآيات ترد عليهم ردا صريحا ، فان السمك والبناء لا يكون إلا لأجسام متناسبة فى الوضع ، وواضعها حكيم بأمر القدرة أبدعها فى غاية الاتقان « ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور » . ويقول الله تعالى « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن » فالفطور والتفطر وعدم التفاوت لا يكون لغير أجسام ، إذ الهواء والفضاء لا يتصف بالتفطر ولا بالتفاوت وعدمه . فالذى ندين به فى القرآن أن السموات سبع، وهى من أجرام ، وأنها طباق ، أى طبقة فوق طبقة ، بين كل طبقة وطبقة فضاء. يؤيد هذا حديث الاسراء والمعراج ؛ فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنه عرج به فى سبع سموات على كل سماء حراس ، وأن جبريل عليه السلام

استفتح له فى كل سماء وفتح له ، ولا يكون الاستفتاح والفتح إلا فى الأجرام بحسب ما يتبادر من الحقيقة . وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى فيها عيسى وإدريس عليهما السلام وقد رفعا بأجسامهما ، ولا تستقر الأجسام فى الهواء . فما لا مرية فيه أن السموات سبع مبنيات طباقا ، وأن الأرض سبع . وقد ورد من الأخبار ما يؤيد أن الأرضين سبع طباق ، بين كل أرض وأخرى فضاء كالسماء ، وأن فى كل أرض عالما يعمرها ، وهل يستمد الضوء من جوانب الفضاء بين الأرض فيسرى اليه النور من السماء الدنيا بواسطة هذا الفضاء ، أو أن الله جعل لكل أرض نورا وضياء تستضيء وتنتفع به تحت الأرض العليا وفوق الأرض السفلى من كل أرض ؟ قيل بكل . وهل العالم الذى يعمر كل أرض جن أو ملائكة أو إنس ؟ وقد ورد حديث رواه الزمخشرى فى ربيع الأبرار أن فى كل أرض آدم كآدمكم ، ومحمداً كمحمدكم . وهذا يؤيد أن الله خلق على مثال الآدميين ما يعمر به كل أرض من الأرضين السبع . ويقول علماء التخطيط : إن الأرضين السبع عبارة عن قارات متصلة ببعضها كقارة أسيا وأوربا وأمريكا وأفريقا واستراليا . هكذا يقولون ، واختلفوا فى حركاتها ، فقال فلاسفة اليونان القدماء : إن الفلك الأعظم يتحرك فتحرك السموات السبع والأرضون السبع بحركته . وقال الحاذقون منهم : إن الأرض تتحرك أولا ، وبحركتها تتحرك الأفلاك أى السموات والأرض . وعلى هذا يكون الأرضون سبعا ملتصقات لا متفرقات ، يعمرها عالم واحد وهو العالم المشاهد الآن من الآدميين والحيوانات . ولكن يعارض هذا قوله تعالى « خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » ، إذ لا تتحقق المماثلة إلا بعدد أرضين متفرقات . هذا هو المتبادر من اللفظ ، والتبادر علامة الحقيقة . غير أن الخلاف بين الشرعيين والفلاسفة فى كيفية الأرض ، فقال بعض الشرعيين : مبسوطة ، مستدلين بقوله تعالى « والأرض فرشناها » وجعل لكم الأرض بساطا » « والأرض بعد ذلك دحاها » ، الذى جعل لكم الأرض مهادا ، فهى شواهد دالة على أن كل أرض من الأرضين السبع مبسوطة . وقال بعضهم إن الأرض مكورة وهي أرض واحدة تنقسم إلى سبعة أقسام هي القارات المعروفة الآن ، ويقولون : إن العلم الحديث أثبت أنها كروية ،

وتأولوا فى معنى « دحاها » و « بسطها » أى فى رأى العين . وقالوا طار فلان حول الارض بزعم أنها مكورة ، وحيث شوهد رأى العين فينبغى أن ينزل عليه الأخبار الشرعية ، لكن لوكان هذا صحيحا لوجد سبع قارات على ظهر الأرض مستكشفات ، لكن لا يوجد إلا خمس بعد استفراغ الجهد فى الاستكشاف وهذا دليل صريح على أن استكشافهم غير صحيح .

وعندى رأى محتمل يوفق بين القديم والحديث من غير غبن ولا تكذيب لأحدهم ، وهو أن الله خلق سبع أرضين يقينا ، ويحتمل أن تكون مكورات فى فضاء سماء الدنيا لكل أرض محور مخصوص وجاذبية مخصوصة تشرق على كل منها أنوار من سماء الدنيا ، وبين كل واحدة والأخرى مسافة بعيدة لا يمكن الاتصال بين كل من سكانها ، وهذا من بدائع صنع القادر الحكيم . وهذا يدفع التضارب بين الآراء . وهذا الرأى وإن لم أنقله عن أحد لكنه محتمل وخال من كل اعتراض يرد عليه والله الموفق ؟

فهيم سالم المليجى
المدرس بمعهد القاهرة

السنة الأولى

العدد الخامس